

البكاء في حياة رسول الله ﷺ

البكاء هو إسبال الدموع ألمًا وندمًا وكدرًا وأحيانًا فرحًا، وهو أيضًا إسبالها غمًا وحننًا، وإن كثرة الضحك والمبالغة فيه أمرٌ غير محمودٍ في ديننا، وعلى عكس ذلك فإننا نجد البكاء أمرًا محمودًا ومرغوبًا فيه، وفي التنزيل يقول المولى ﷺ فيمن تخلفوا عن رسوله ﷺ ولم ينضموا إليه في غزوة تبوك ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢٤٣)، وهذه الآية تؤكد على أهميّة البكاء وقيّمته.



أما عن النصرى فيقول فيهم الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢٤٤)، وتعلم من هذه الآية أهميّة الدموع وقدرها عند الله.

(٢٤٣) سورة التوبة: ٨٢/٩.

(٢٤٤) سورة التوبة: ٩٢/٩.

وفي آيةٍ أخرى قال تعالى في المؤمنين الفقراء الذين أرادوا الانضمام إلى الجهاد: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(٢٤٥)، فالقرآن الكريم يزكي مَنْ تفيض أعينهم بالدموع من خشية الله ويرفع عنهم الحرج، ويحثُّ الناس على البكاء، بيد أن البكاء يجب أن يكون في محله وموضعه، ويكون بالحدِّ المعقول، فالبكاء الذي يكون بضرب الرأس وشدِّ الشعر، أو البكاء الذي لا ينبع من القلب ويكون بغرض التظاهر؛ هو بكاء غير محمودٍ، فقد كان رسول الله ﷺ يبكي أحياناً خوفاً على أمته ورأفةً بهم، وأحياناً ما يبكي رحمة على الأموات وحيناً آخر يبكي خشيةً من الله وخوفاً، وكثيراً ما يبكي خشوعاً عند سماعه القرآن الكريم أو عندما يصلي، والآن لنلقِ نظرةً على هذا الموضوع:

١. بكاءه ﷺ أثناء الصلاة

كان الرسول ﷺ يبكي أحياناً بصوتٍ لا يسمعه من يقفون خلفه في الصلاة، وأحياناً ما كان يعلو صوتُ بكائه فيسمعونه، فعن مطرفٍ رضي الله عنه عن أبيه قال: ”أتيتُ النبي ﷺ، وهو يُصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ“^(٢٤٦)، يعني يبكي بشدةٍ، ولا ريبَ أن بكاءه هنا هو خشية من الله وخوفٌ منه ﷻ.

بكاؤه أثناء صلاة الكسوف

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ”خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَامَ وَكَبَّرَ وَصَفَّ النَّاسَ وَرَأَاهُ، فَافْتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ ﷺ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ قَامَ فَافْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً“

(٢٤٥) سورة التوبة: ٩/٩٢.

(٢٤٦) سنن النسائي، السهو، ١٨.

- هِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى - ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ زُكُوعًا طَوِيلًا هُوَ أَدْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، - ثُمَّ سَجَدَ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ "ثُمَّ سَجَدَ" - ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكُوعَةِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَّتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَأَنْتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَلِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزِعُوا لِلصَّلَاةِ، وَقَالَ أَيُّضًا: فَصَلُّوا حَتَّى يُفْرَجَ اللَّهُ عَنْكُمْ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِدْتُمْ حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخِذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَدِيمَ - وَقَالَ الْمُرَادِيُّ أَتَقَدَّمَ - وَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لَحْيٍ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَابِيبَ^(٢٤٧)، وَالرَّسُولُ ﷺ هُنَا يُعَلِّمُنَا أَنَّ الْخُسُوفَ وَالْكَسُوفَ هُوَ وَقْتُ ذِكْرِ وَدَعَاءٍ، وَيَحْتُنَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ.

ب. البكاء عند سماع القرآن

كان النبي ﷺ يبكي عند سماعه القرآن، وبكاؤه هنا خوفًا من الله وشوقًا إليه واحترامًا ومحبةً له، فعن عبد الله بن مسعود^(٢٤٨) قال: "قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال ﷺ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢٤٨) قَالَ: أُمْسِكْ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ"^(٢٤٩).

(٢٤٧) صحيح مسلم، الكسوف، ٣.

(٢٤٨) سورة النساء: ٤١/٤.

(٢٤٩) صحيح البخاري، فضائل القرآن، ٣٣.

ج. البكاء على الموتى

كان النبي ﷺ أحياناً ما يبكي لفراق أو موت أحدٍ، ومن ذلك بكاءه يوم فراق عثمان بن مظعون ؓ، فعَنْ عَائِشَةَ ؓ قَالَتْ: ”رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقْبِلُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ تَسِيلُ“^(٢٥٠)، ولقد روي بكاء النبي ﷺ يوم استشهد عمه الحمزة فعَنْ جَابِرٍ ؓ قَالَ: ”لَمَّا جَرَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمْزَةَ بَكَى، فَلَمَّا رَأَى مِثْلَهُ شَهَقَ“^(٢٥١). ولقد ندبنا النبي ﷺ إلى بعض السلوكيات، ونهانا عن بعضٍ آخر كالتالي:

١- أمره بالاعتدال في البكاء

كان الرسول ﷺ يحزن لأمر من على فراش الموت، ويجول الدمع في عينيه ويبكي رقةً منه ورحمةً بهم، وقد أمر بالاعتدال في البكاء، وإن كان على ميِّتٍ قريبٍ، وقد كان هو نفسه قدوةً حسنةً لأُمَّته في هذا الأمر.

بكاءه على حفيده المتوفى

عن أسامة بن زيد ؓ قَالَ: ”أَرْسَلْتُ ابْنَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأَتَيْتَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبِيُّ بُنٍ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَجَالٌ ؓ، فَرَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقُ - قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَرٌّ - ففَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ ﷺ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرَحِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ“^(٢٥٢).

(٢٥٠) سنن أبي داود، الجنائز، ٣٥-٣٦.

(٢٥١) الطبراني: المعجم الكبير، ١٤٢/٣؛ الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، ٢١٨/٣.

(٢٥٢) صحیح البخاری، الجنائز، ٣٢.

فكان بكاء النبي ﷺ في هذا الحديث رحمة، أي إن البكاء ليس دليلاً على العجز والضعف بل هو دليل على الرأفة والرحمة النابعة من قلبه الشريف ﷺ، وهناك معنى آخر يفيد الحديث؛ وهو أن الله يرحم من عباده الرحماء، فمن لم يُسبل دمعاً واحدةً من عينيه طيلة حياته فهو فاقد الرحمة ولا نصيب له في رحمة الله إذا؛ لأن من لا يرحم لا يرحم، أما الرحيم فله من صفته نصيب، وإن دموع العين لهي أصدق تعبير عن مدى الرحمة المكنونة في أعماق الإنسان، وهي وسيلة لإظهار رحمة الإنسان بالإنسان، ومن ثم فهي إحدى الطرق الموصلة إلى رحمة الله ﷻ.

بكاؤه ﷺ من أجل سعد بن عبادة ﷺ

إن الحديث التالي يُعلمنا أنه يجوز لنا أن نبكي على الميت بكاءً غير مبالغ فيه، لا يتجاوز الحد المعقول، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ... "فأتاه النبي ﷺ يَعُوذُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: قَدْ قَضَى؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ ﷺ: أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْدِبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزَنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعْدِبُ بِهِذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ ..."^(٢٥٣)، عندما رأى النبي ﷺ سعد بن عبادة رضي الله عنه مريضاً بكى لحاله، فتحير الصحابة من أمره رضي الله عنه، وعندئذ أخبرهم أنه لا عذاب بإذراف الدموع ولكن العذاب بالأقوال السيئة، ومن الطبيعي أن يحزن الإنسان ويبكي على ميته، وإذا ما نظرنا حولنا نجد معظم الناس عندما يواجهون ظرفاً سيئاً محزنةً يتفوهون بأقوال مبالغ فيها وفي غير محلها، وقد قال الحبيب ﷺ في

حديث شريف ”إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى“ أي إنَّ الصبر عند وقوع البلاء والمصيبة الأولى، وعدم التلَفُّظ بِالْفَاظِ نَائِبَةً؛ أمرٌ في غاية الأهمية كي لا نجرح شعور الآخرين أو نسخط من القدر، ومن ثم علينا أن نصبر على المصائب، وألا نتفوه بأقوالٍ مبالغ فيها أو بما لا يتناسب مع أخلاق وتعاليم الشريعة الإسلامية الغراء.

٢- النهي عن البكاء الذي يصحبه صراخ وصياح

لقد حرم ديننا الصراخ والصياح الشديد والأنين بصوت عالٍ، وهناك روايات كثيرة تبيح البكاء دون صراخ أو صياح، أما معه فمَنْهِيٌّ عنه.

بكاؤه ﷺ على بنت

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ”لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَغِيرَةً فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَقَضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَمْ أَيْمَنَ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ أَيْمَنَ، أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: مَا لِي لَا أَبْكِي وَرَسُولُ اللَّهِ يَبْكِي؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ بَخِيرٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنَزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ ﷻ“ (٢٥٤).

فمن الطبيعي جداً أن تتأثر النفس البشرية عند فراق قريب أو حبيب ما، لكن على الإنسان أن يحترم قدر الله فيه، وأن يرضى بقضائه ﷻ؛ فلا يجزع ولا يفزع ولا يندب ولا ينوح؛ لكيلا يقع في مغتبه عدم الرضا بقضاء الله وقدره؛ ولكيلا يكون يائساً من رحمة الله.

بكاؤه ﷺ على ابنه إبراهيم

حزن الرسول ﷺ كثيراً لوفاة ابنه إبراهيم، وتهاطلت دموعه الشريفة -روحي فداه- على وجنتيه الشريفتين، ويتبين ذلك من الحديث التالي:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: "دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيِّفِ الْقَيْنِ وَكَانَ ظُهُراً^(٢٥٥) لِإِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّمَهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَدْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ رضي الله عنه: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ"^(٢٥٦)،

ففي هذا الحديث الشريف يُعَلِّمُنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ دَمْعَ الرَّحْمَاءِ مِنَ النَّاسِ دَلِيلٌ عَلَى رَحْمَتِهِمْ حَيْثُ قَالَ "إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، كَمَا أَنَّهُ ذَكَرَ ثَلَاثَةَ حَقُوقٍ يَجِبُ الِاتِّبَاهُ إِلَيْهَا وَهِيَ:

١- حَقُّ الْأَبِ

نرى النَّبِيَّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَبًا يَحْزَنُ لِفَقْدَانِ وَلَدِهِ، وَقَدْ كَانَ الْبُكَاءُ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ يُعَدُّ فِي الْعَهْدِ الْجَاهِلِيِّ عَيْبًا، لِذَلِكَ فَإِنَّا نَرَى مِنْ شَاهِدُوا الرَّسُولَ ﷺ يَبْكِي قَدْ تَعَجَّبُوا لِأَمْرِهِ قَائِلِينَ: "وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟"، لَكِنَّ بُكَاءَ أَبِي أَبِ عَلِيٍّ ابْنِهِ شَعُورٌ أَبُوِّي فَطْرِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْأَبُوءَ الْكَامِلَةَ وَلَا الرَّحْمَةَ الْمِثَالِيَّةَ، فَحَقُّ الْأَبُوءِ أَنْ يَبْكِيَ الْأَبُ عِنْدَمَا يَفْقِدُ وَلَدَهُ، لَكِنَّ دُونَ مِبَالِغَةٍ فِي الْبُكَاءِ وَليْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْنَعَهُ عَنِ فِعْلِ هَذَا.

(٢٥٥) ظهراً: زوج مرضعته، وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية.

(٢٥٦) صحيح البخاري، الجنائز، ٤٣.

٢- حق الابن

يُقَدِّم الإنسان الغالي والنفيس من أجل أبنائه، ذاك أن ابنه يُعَدُّ قطعةً من روحه ودمه، لذلك فإن الأب يتأثر بكلّ النوازل التي تعصف بابنه، وهذا من الحقوق المشروعة لكلّ ابنٍ على أبيه.

٣- حق الله

إن الإنسان خليفة الله في أرضه، وكلّ ما نملكه هو في الأصل ملك لله، وكما أن جسدنا وصحتنا نَعْمُ نَعْمُ بها الخالق علينا؛ فإن أبنائنا وجميع أقربائنا الذين نحبتهم أيضًا نعمةً من عنده سبحانه، ومن ثم لا يحقّ لنا أن نغضب عندما يستردّ الله أمانته التي أعطانا إيّاها، وألا نسيء القول، لأن هذا هو حقّ الله كما أنه دينٌ لا بدّ من الوفاء به.

د. بكاؤه ﷺ من أجل نجاة أمته

كان النبي ﷺ يعتبر عن شعوره نحو أمته بالدعاء لها والبكاء من أجلها، فقد كان يرتعد خوفاً على أمته ويدعو لها بالنجاة كلّما سنحت له الفرصة، وفي رواية ”أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٢٥٧)، وَقَالَ عِيسَى ﷺ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢٥٨)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ﷺ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبِّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُزْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ“^(٢٥٩)، وبهذه البشرية واسى المولى ﷺ نبيّه ﷺ وطمأنه.

(٢٥٧) سورة إبراهيم: ٣٨/١٤.

(٢٥٨) سورة المائدة: ١١٨/٥.

(٢٥٩) صحيح مسلم، الإيمان، ٣٤٦.

ذ. أمره ﷺ لأصحابه بالبكاء

البكاء خوفاً من الله وخشيةً منه وإجلالاً وإعظاماً له؛ هو حالة خاصةٌ بالمؤمنين، ونرى ذلك في مواضع كثيرةٍ في القرآن الكريم، كما نرى أنه أيضاً يُنذر من يظنون الحياة الدنيا لعباً ولهواً، ويقضون عمرهم لاهين ضاحكين، فنجد الآية التالية تؤكد على أهمية البكاء قال تعالى ﴿فَلْيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢٦١)، لقد أمرنا الله في آيات كثيرة من القرآن الكريم أن نعبر عما بداخلنا بما يتناسب مع حالنا، ولقد عاش النبي ﷺ حياته على هذا النسق فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ”طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانُهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ“^(٢٦١)، وهو هنا يحث على البكاء، وقد كان ﷺ يتكلم بكلمات مؤثرة كي ينبه أصحابه ويجذب انتباههم إلى معرفة أهوال يوم القيامة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ ”يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا“^(٢٦٢).

كان الحبيب يأمر أصحابه بالبكاء دوماً، ويؤكد أن دموع العين الهاطلة خشيةً من الله وإجلالاً له تكون سترَةً ونجاةً لصاحبها من عذاب يوم القيامة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ”عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ“^(٢٦٣).

فالحديث يبين أن البكاء أحياناً يكون سبباً من أسباب الوقاية من النار، وفي روايةٍ أخرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ”لَا يَلِجُ النَّارَ

(٢٦٠) سورة التوبة: ٨٢/٩.

(٢٦١) الطبراني: المعجم الأوسط، ٢١/٣.

(٢٦٢) صحيح البخاري، الأيمان والنذور، ٣.

(٢٦٣) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ١٢.

رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يُعْوَدَ اللَّبَنُ فِي الصَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ“^(٢٦٤)، وهنا يؤكد النبي ﷺ على قيمة البكاء وقدره عند الله ﷻ.

ر. بكاء أصحابه لبكائه ﷺ

كان الصحابة الكرام ﷺ - من شدة محبتهم لرسول الله - إذا تأثر بشيء يتأثرون، وإذا بكى يبكون، عن أبي هريرة ؓ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿أَفْمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجِبُونَ وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾^(٢٦٥)، بَكَى أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْنَهُمْ بَكَى مَعَهُمْ، فَبَكَيْنَا بِبُكَائِهِ، فَقَالَ ﷺ: ”لَا يَلْجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَوْ لَمْ تَدْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُدْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ“^(٢٦٦)، فكان الصحابة يتعاهدون أنفسهم بالبكاء، إما خوفاً وخشية من الجبار ﷻ وإما خوفاً من الوقوع في معصيته، وإما محبةً له واشتياقاً إلى القرب منه، فكانوا في حالة التجاء دائم إليه.

ز. وجوب البكاء عند قراءة القرآن

عن سعد بن أبي وقاص ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ”إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا، وَتَعَنُّوا بِهِ فَمَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِهِ فَلَيْسَ مِنَّا“^(٢٦٧)، فقد يكون النبي قصد بهذا الحديث أن يقول "ابحثوا لأنفسكم عن السبل التي تُرقيق قلوبكم وتلينها"، وهناك وضعان مختلفان لذلك، أحدهما أن يُجبر الإنسان نفسه على البكاء رياءً،

(٢٦٤) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ٨.

(٢٦٥) سورة النجم، ٥٣/٥٩ - ٦٠.

(٢٦٦) البيهقي: شعب الإيمان، ٢/٢٣٣.

(٢٦٧) سنن ابن ماجه، إقامة الصلوات، ١٧٦.

والآخر أن يحمل الإنسان نفسه على البكاء خشوعاً عند سماع القرآن، فالأول مُحَرَّم، والثاني مأمور به.

هـ. البكاء على الذنوب

أمر النبي ﷺ عقبه بن عامر ؓ أن يبكي على خطيئته عندما سأله عن طريق النجاة فعن عقبه بن عامر ؓ، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ ﷺ: اْمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسْغَكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ" (٢٦٨)، وفي هذا الحديث يأمر النبي ﷺ بـ:

١- إمساك اللسان عن قول السوء.

٢- الجلوس في البيت مبتعداً عن الناس ومتفرغاً للطاعات والعبادات متضرعاً إلى الله.

٣- البكاء والندم على الذنوب والمعاصي.

و. أمره ﷺ بالتباكي عند عدم الاستطاعة على البكاء

أمر النبي ﷺ من لا يكون من الناس أن يتباكوا، فعن سعد بن أبي وقاص ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا" (٢٦٩).

ي. أمره ﷺ بالبكاء خشية من الله

وقد حث النبي ﷺ على البكاء خشية من الله، وطرباً بذكر الله، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبْتَهُ

(٢٦٨) سنن الترمذي، الزهد، ٦٠.

(٢٦٩) سنن ابن ماجه، الزهد، ١٩.

امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ“ (٢٧٠)، ولنختتم موضوعنا بهذا الحديث الشريف الذي يوضح فضل البكاء بما ورد عن أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ”لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ“ (٢٧١).

وبهذا نستخلص أن البكاء له ثلاثة أسباب:

١- أن يكون ناتجاً عن مشاعر وعواطف دينية.

٢- أو خوفاً وخشية من الله.

٣- أو بسبب البلايا والمصائب التي تصيب الإنسان.

والمهم في كل أنواع البكاء أن لا يخرج عن أُطر المنطقية والعقل وأن لا يصل إلى الإفراط أو التفريط وألا يتخلله صياح أو صراخ أو كلمات تنم عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

وأخيراً إن البكاء هو شعورٌ فطريٌّ داخليٌّ يُكسِبُ الإنسان الراحة، وكما أمرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أيضاً بالبكاء في الصلاة وعند قراءة القرآن أو على الأقل التباكي، فإنه قد أجاز لنا البكاء في الأحزان دون عصيان للقدر، وبلا صراخ أو صياح -أي بكاء لا إفراط فيه- كما يجب علينا أيضاً أن نبكي وندعو من أجل نجاة أمتنا في الآخرة، ومن أجل العفو عن خطايانا، بيد أن بكاءنا هذا يجب أن يكون من القلب وخشية وخوفاً من الله وألا نضعه في غير محله أو موضعه.

(٢٧٠) صحيح البخاري، الأذان، ٣٦.

(٢٧١) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ٢٦.

obeikandi.com



القسم الثامن

آداب رسول الله ﷺ في الولايم



إجابة الدعوة في حياة رسول الله ﷺ

الدعوة (المناسبة): هي الاجتماعات التي يُقدّم فيها الطعام والشراب مودةً واحترامًا وتألّفًا بين الناس، أما إجابة الدعوة فتعني قبولها وتليتها، وثمة أصول وقواعد مهمّة من أجل تقوية أواصر الصداقة والمودة والحب بين المسلمين، من أهمّها إجابة الدعوة، وتعلّم من الحديث التالي أن إجابة الدعوة من أهمّ الواجبات التي على المسلم أن يؤدّيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيُطْعَمْ" (٢٧٢)، كما أكّد المصطفى ﷺ أيضًا على أن إجابة الدعوة حقّ المسلم على المسلم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ: رَدُّ التَّحِيَّةِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَشُهُودُ الْجَنَازَةِ، وَعِيَادَةُ



المَرِيضِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمَدَ اللَّهُ“^(٢٧٣)، ذكر الحديث السابق أن إجابة الدعوة من الواجبات الأساسية على المسلم، وكان النبي ﷺ يُدعى لموائد طعام ومراسم أعراس ومناسبات وأماكن مهمّة؛ فكان ﷺ يُلبّي هذه الدعوات، بل ويدعو أصحابه أيضًا إلى منزله، والآن لنلقِ نظرةً خاطفةً على هذه الناحية:

أ. تلييته ﷺ للدعوات

١- إجابته ﷺ لموائد الطعام

كان الحبيب ﷺ يجيب دعوات الطعام، فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قَالَ: ”لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أَهْدِيَتُ إِلَيَّ ذِرَاعًا أَوْ كُرَاعًا“^(٢٧٤) لَقَبِلْتُ“^(٢٧٥)، ولحم الذراع والكراع المذكور في الحديث هو نوعٌ من اللحوم التي لا يفضلها الكثير من الناس، وتلييته ﷺ لمثل هذه الدعوات دليلٌ على تواضعه، أما المعنى الآخر الذي يفيد الحديث؛ فهو اتباع سنة النبي ﷺ في إكثار الضيافة وتقديم أفضل أنواعها وألا يُحقر الضيف ما قُدّم له، ذلك أن هذه الدعوات تُقوي العلاقات الاجتماعية وتزيد الصداقة والمودة بين الناس، ومن ثمّ علينا تلبية هذه الدعوات بقدر استطاعتنا.

إجابته ﷺ لدعوة جابر ؓ

يروى لنا جابر ؓ أن الرسول ﷺ انضمّ إلى مائدةٍ عليها طعامٌ يكفي بضعةً أشخاصٍ، إلا أن ما يقرب من ألف شخصٍ قد شبعوا منها، عن

(٢٧٣) سنن ابن ماجه، الجنائز، ١.

(٢٧٤) ذراع: اليد من الحيوان، والكراع: ما استندق من ساق الحيوان.

(٢٧٥) صحيح البخاري، الهبة، ٢.

جَابِرٌ ﷺ قَالَ: ”إِنَّا يَوْمَ الْحَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضْتُ كُدَيْهَ شَدِيدَةً فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدَيْهٌ عَرَضَتْ فِي الْحَنْدَقِ، فَقَالَ ﷺ: أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلِبْنُنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ فَعَادَ كَثِيرًا أَهِيلٌ أَوْ أَهِيمٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ^(٢٧٦) ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ^(٢٧٧) قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْصَجَ، فَقُلْتُ: طَعِمْتُمْ لِي فَقَمِ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ ﷺ: كَمْ هُوَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ قَالَ ﷺ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ ﷺ: قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي، فَقَالَ ﷺ: قُومُوا، فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ ﷺ: ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ ﷺ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمُ مَجَاعَةٌ“^(٢٧٨).

إجابته ﷺ لدعوة بني سلمة

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبِي غَالِبًا مَا دَعَاهُ أَيُّ قَبِيلَةٍ، وَيُرْوَى لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ أَجَابَ دَعْوَةَ بَنِي سَلْمَةَ، حَيْثُ قَالَ: ”صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَصْرَ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلْمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ

(٢٧٦) البرمة: قدرٌ عميقٌ مِنَ الْحِجَازَةِ أَوْ التُّحَابِسِ.

(٢٧٧) الأثافي: جمعُ أَثْفِيَّةٍ، وَهِيَ أَحْجَارٌ ثَلَاثَةٌ تُوَضَعُ عَلَيْهَا الْقَدْرُ فَوْقَ الْمَوْقِدِ.

(٢٧٨) صحيح البخاري، المغازي، ٣٠.

نُنَحَّرَ جَزُورًا لَنَا وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ تَحْضُرَهَا، قَالَ ﷺ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْنَا مَعَهُ فَوَجَدْنَا الْجَزُورَ لَمْ تُنَحَّرْ فَنَحِرَتْ ثُمَّ قُطِعَتْ ثُمَّ طُبِخَ مِنْهَا ثُمَّ أَكَلْنَا قَبْلَ أَنْ تَغِيَبَ الشَّمْسُ“^(٢٧٩)، وهذا الحديث يُبين أن النبي ﷺ قد لبى هذه الدعوة، وأكل من الجمل المقدم له، وباركه، وهذا دليل على لینه ﷺ وتسامحه ورأفته بأصحابه.

إجابته ﷺ لدعوة الفقراء

لم يُفَرِّق الرسول ﷺ بين الناس في تلبية دعواتهم، مثلما لم يُفَرِّق بينهم في أي شيء آخر، فهو يُجيب الدعوة غنيًا كان الداعي أم فقيرًا ولا يجرح شعور أحد، خاصة دعوة الفقراء الذين لا يملكون ما يقدمونه للناس لقلّة حيلتهم، فكان الرسول الحبيب ﷺ لا يُقصر في تلبية دعواتهم تطييبًا لخاطرهم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ جَدَنَةَ مَلِيكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: ”قَوْمُوا فَلِأَصْلِ لَكُمْ“ قَالَ أَنَسٌ فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبَسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفَّقْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَأَاهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ^(٢٨٠)، كما أن هناك أمر آخر يجب الانتباه إليه في موضوع الدعوة ألا وهو دعوة الجيران بعضهم البعض، فعلى النساء خاصة الانتباه لهذا الأمر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ”تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شَقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ“^(٢٨١)، فلا ينبغي احتقار ما تقدمه الجارة لجارتها مهما كان صغيرًا وقليلًا، ولا ينبغي أبدًا التكبر أو الغرور بل ينبغي العيش ببساطة وتواضع قدر المستطاع.

(٢٧٩) صحيح مسلم، المساجد، ٣٤.

(٢٨٠) صحيح البخاري، الصلاة، ٢٠.

(٢٨١) سنن الترمذي، الولاء والهبة، ٦.

إجابته ﷺ لدعوة الغلام الخياط

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى غُلَامٍ لَهُ خِيَاطٌ، فَقَدَّمْ إِلَيْهِ فَصَعَةً فِيهَا ثَرِيدٌ، قَالَ: وَأَقْبَلَ عَلَيَّ عَمَلِي، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَبْعُ الدُّبَاءَ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَّبَعُهُ فَأَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ بَعْدَ أَحِبِّ الدُّبَاءِ" (٢٨٢)، يُعْتَبَرُ هَذَا الْحَدِيثُ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ، حَيْثُ يُوَضِّحُ لَنَا مَدَى تَوَاضَعِهِ ﷺ وَتَقْدِيرِهِ لِلنَّاسِ، فَجَدَّ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدِ لَبَّى دَعْوَةَ شَخْصٍ فَقِيرٍ لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُهُ حَتَّى، وَطِيبَ خَاطِرُهُ.

إجابته ﷺ لدعوة أبي طلحة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سَلِيمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرَفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَأَخْرَجَتْ أَفْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ حِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ، قَالَ ﷺ: بِطَعَامٍ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: قُومُوا، فَاَنْطَلِقْ وَأَنْطَلِقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سَلِيمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نَطْعُمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَاَنْطَلِقْ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْمِي يَا أُمَّ سَلِيمٍ مَا عِنْدَكَ؟ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتُ وَعَصَرْتُ أُمَّ سَلِيمٍ عَكَّةً (٢٨٣) لَهَا فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ، فَأْذِنْ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ،

(٢٨٢) صحيح البخاري، الأظعمة، ٢٥.

(٢٨٣) العكَّة: زُقٌّ صغير للسمن.

فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشْرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا“ (٢٨٤).

٢- إجابته ﷺ لدعوات مراسم الأعراس

يجتمع الناس في الحياة اليومية لأسبابٍ عدّة، وهذه التجمّعات توطّد مشاعر الصداقة والأخوة فيما بينهم، ولا ريب أن أهمّ هذه التجمّعات هي حفلات الأعراس، فليس من اللائق أن نترك هذين الشخصين وحيدين في أسعد أيامهما، وذلك من باب التضامن الاجتماعي، ومن ثم أمر النبي ﷺ بتلبية دعوات حفلات الزفاف، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ”إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا“ (٢٨٥)، وفي الحديث التالي يُشير الرسول الكريم ﷺ إلى أهميّة إجابة الدعوة وضرورة تناول الطعام المقدم إن لم يكن هناك عذرٌ مقبولٌ يمنع من ذلك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ”إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَصِلْ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ“ (٢٨٦).

أمره ﷺ بالذهاب إلى مراسم الأعراس

أمر النبي ﷺ بالذهاب إلى حفلات الزفاف، وقال فيمن لا يودّون الانضمام إلى مثل هذه الدعوات دون عُذرٍ: ”...وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ“ (٢٨٧)، وفي روايةٍ أخرى عن نافع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ”أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَعَبْرَ الْعُرْسِ وَهُوَ صَائِمٌ“ (٢٨٨).

(٢٨٤) صحيح البخاري، المناقب، ٢٥.

(٢٨٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧٢.

(٢٨٦) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٦٩).

(٢٨٧) صحيح مسلم، النكاح، ١٦.

(٢٨٨) صحيح البخاري، النكاح، ٧٥.

أمره ﷺ من يأتي دون دعوة أن يستأذن أهل البيت

لا ريب أن من أهم قواعد إجابة الدعوة والأصول التي يجب على المسلم اتباعها هو عدم ذهاب الشخص إلى مكانٍ لم يُدعَ إليه، كما أنه لا يليق إحضار صديقٍ غير مدعوٍ إلى مكانٍ دُعينا إليه نحن، وإن حدث ذلك فعلينا أن نستأذن من صاحب الدعوة، ولقد قال الرسول ﷺ فيمن يذهب دون دعوة في رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ".... وَمَنْ دَخَلَ عَلَيَّ غَيْرَ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغَيَّرًا"^(٢٨٩)، أما إذا اضطررنا لإحضار شخصٍ معنا أو أنه جاء رغمًا عنا فعلينا أن نطلب الإذن من صاحب الدعوة، ويستوفقنا هنا الحديث التالي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُكْنَى أَبُو شُعَيْبٍ فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ قَصَابٍ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةَ فَيَأْتِي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةِ فَيَأْتِي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَدَعَاهُمْ فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذَا قَدْ تَبَعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ فَأَذِنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجِعْ، فَقَالَ: لَا بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ"^(٢٩٠)، وفي الحديث يوضح الحبيب ﷺ لصاحب البيت أن ذلك الرجل الذي تبعه لم يأت بدعوةٍ منه، فهو بذلك جنَّب المدعوين من الوقوع في الحرج، ونراه أيضًا قد هبأ للضيف الذي جاء بغير دعوةٍ المناخ ليتواجد في المكان وهو مطمئن، كما أنه أيضًا يُعلم كلاً من الداعي والمدعو ماذا عليهما أن يفعلوا في مثل هذا الموقف.

٢- إجابته ﷺ لدعوات أصحابه إلى منازلهم:

تلييته ﷺ للدعوة في المنزل الذي استخدم مسجداً

كان الصحابة يدعون النبي ﷺ إلى منازلهم كي ينتفعوا من فيض يمنه وبركته، ومنهم من يُجهز ركنًا خاصًا في بيته ويطلب من النبي ﷺ

(٢٨٩) سنن أبي داود، الأظعمة، ١.

(٢٩٠) صحيح البخاري، البيوع، ١٦٣.

أن يصلّي فيه، فكان النبي يطيب خاطرهم ويستجيب لذلك، ويستوقفنا هنا الحديث التالي: فعن مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عِثْبَانَ بْنَ مَالِكٍ - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ - أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ بِصَرِي، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي، وَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِي مَسْجِدَهُمْ فَأَصَلِّي لَهُمْ، وَدِدْتُ أَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي مُصَلِّي، فَاتَّخِذْهُ مُصَلِّي، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ عِثْبَانُ: فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟ قَالَ: فَأَشْرَفْتُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ لَهُ، قَالَ: فَثَابَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ حَوْلَنَا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ ذُوو عَدَدٍ" (٢٩١).

ويبين هذا الحديث بوضوح مدى اهتمام النبي ﷺ بتلبية دعوة أصحابه، حيث أجاب النبي ﷺ دعوة ذلك الرجل المسنّ الذي لا يستطيع الحضور إلى المسجد بسبب مرضه وشيخوخته، وذهب إليه ملتبسًا دعوته في اليوم التالي مباشرة.

ب. الدعوات التي لم يلبها المصطفى ﷺ

دعوات المتكبرين والمتغطرسين من الناس

نهى النبي ﷺ عن دعوة الأغنياء فقط بقصد التباهي والتفاخر وإهمال دعوة الفقراء، وذم ذلك ووصف ما يُقدّم فيه بأنه شرّ الطعام، ففي رواية عن

أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ”شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ رضي الله عنه“^(٢٩٢)، فيؤكد الحديث على أهميّة تلبية الدعوة، وعدم التمييز بين الناس أو التفرقة بينهم عند توجيه الدعوة إليهم، ويُرشدنا رضي الله عنه إلى السلوك الحسن القويم ألا وهو المساواة عند توجيه الدعوة وعدم التفريق بين غنيٍّ أو فقيرٍ امتثالاً لأمر الله وابتغاءً لرضوانه.

وكان النبي ﷺ يُحاول -قدر استطاعته- تلبية الدعوة، شريطةَ خلوها من المحرّمات والمنكرات، وكان متواضعاً في الهيئة والكيفيّة التي يجلس فيها لتناول الطعام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ”مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَوَانٍ، وَلَا فِي سُكْرَجَةٍ، وَلَا خُبْزٍ لَهُ مُرَقَّقٌ“^(٢٩٣).

ج. دعوته ﷺ للضيف في منزله

دعوته ﷺ لجابرٍ إلى الطعام في منزله

كان النبي ﷺ أكرمَ البشر وأجودهم على الإطلاق، يُعطي المحتاج كل ما في يده، حتى إنه كان يُعطي عطاءً من لا يخشى الفقر، وذات يوم مرّ على منزل جابر بن عبد الله رضي الله عنه -الذي كان معسراً مادياً ومعيباً لإخوته السبعة بعد استشهاد والده في يوم أُحُدٍ، والذي كان متفانياً في خدمة إخوته الأيتام ورعاية أسرته الكبيرة- الذي كان النبي ﷺ يحبه ويحترمه أيما حبٍّ واحترام، ودعاه إلى الطعام في بيته ﷺ ويروي جابرُ بنُ عبد الله: ”كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسَارَ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجْرٍ نِسَائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَ ﷺ: هَلْ مِنْ عَدَاءٍ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأَتَيْتُ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ فَوَضَعْنَ عَلَى بَيْتِي، فَأَخَذَ

(٢٩٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٨٤).

(٢٩٣) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢٣.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فُرْصًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ فُرْصًا آخَرَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّلَاثَ فَكَسَّرَهُ بِأَثْنَيْنِ فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: هَلْ مِنْ أَدَمٍ؟ قَالُوا لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ حَلٍ، قَالَ ﷺ: هَاتُوهُ فَنِعَمَ الْأُدْمُ هُوَ“ (٢٩٤).

وأخيراً: يجب تلبية الدعوة إلى الطعام أو العرس، خاصةً إن كانت هناك دعوات من الأقارب والأصدقاء المقربين والفقراء، كما يجب علينا أيضاً أن ندعوهم، وألا نذهب إلى أيّ وليمة دون دعوةٍ وألا نُجيب دعوة المتكبرين والمتغطرسين من الناس وأن لا نجيب الدعوات التي تحتوي على المحرمات أو المنكرات.

obeikandi.com



القسم التاسع

آداب رسول الله ﷺ في التهادي



التهادي في حياة رسول الله ﷺ

كلمة هدية: في اللغة العربية مشتقة من كلمة هداية - هدى، هُدى - بمعنى "الإرشاد إلى الطريق الصحيح".

ومن معانيها أيضًا إعطاء الشخص لغيره شيئًا لإظهار محبته له، ولكي تقوى روابط الأخوة والصداقة وتدوم طويلًا؛ لا بد من دعمها ماديًا ومعنويًا، ولا ريب أن التهادي وسيلة لهذا الدعم، وليس في القرآن آية تتعلق بحكم التهادي وقبول الهدية إلا تلك الآية التي تتحدث عن ملكة سبأ والهدايا التي أرسلتها لنبى الله "سليمان" وأنه ﷺ لم يقبل هدية القوم الكافرين لأنهم لم يقبلوا دعوته للحق ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۚ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٢٩٥).



أما الأحاديث فهناك روايات كثيرة تتعلق بموضوع التهادي، وقبول الهدية وردّها، والآن لُنُقِ نظرةً على بعض المواقف في حياة الرسول ﷺ التي تتعلق بموضوع التهادي.

أ. مَنَحُ الهدية وقبولها

١- إعطاؤه ﷺ الهدايا

مثلما كان النبي ﷺ يقبل الهدايا، كان أيضاً يقدّمها، وكان النبي ﷺ يُقدّم الهدايا دون مقابل فكان يهادي نساءه وجيرانه وأقرباءه وأصحابه وخدمته ومن يُودُّ أن يحببهم في الإسلام، والوفود التي تأتي لزيارته، وكان من جملة الهدايا التي يُقدّمها النبي ﷺ اللباس والطعام والعمور والأحصنة والجمال واللحوم والأراضي وغيرها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا"^(٢٩٦)، وكانت الهدية التي يقدمها الرسول تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية بالنسبة للشخص المُهدى إليه.

الأشخاص الذين أهداهم

أ. من أراد أن يهديهم للإسلام

الهدية التي أهداها لصفوان بن أمية:

عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: "عَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتَحَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَضَمَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ مِائَةَ مَنَ النَّعْمِ ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ" قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: "وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ"^(٢٩٧).

(٢٩٦) صحيح البخاري، الهبة، ١١.

(٢٩٧) صحيح مسلم، الفضائل، ١٤.

وكما نرى فإن النبي ﷺ أهدى لصفوان من التعم ما لا يخطر ببال أحد، وذلك بُغية إدخال الإسلام إلى قلبه.

ب. من دخلوا في الإسلام حديثاً

الهدية التي أهداها النبي ﷺ إلى الشاعر المعروف "كعب بن زهير":
كان في عهد المصطفى ﷺ شعراء وفصحاء وبلغاء مسلمون كثير،
كما كان هناك أيضاً من الفصحاء والشعراء من يُصرّ على الكفر محاولاً
إيذاء النبي ﷺ وأصحابه بأبياتٍ من الشعر، وقد كان "كعب بن زهير"
أحد هؤلاء الشعراء، وقد أسلم أخوه "بجير"، ولما أحسّ زهيرٌ بالحق
والكراهية لدخول أخيه في الإسلام، كتب شعراً سيئاً، وعندما قرأه "بجير"
على رسول الله ﷺ، حزن النبي ﷺ، ثم قال لأصحابه: "مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ كَعْبًا
فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنِّي قَدْ أَهْدَرْتُ دَمَهُ مِنَ الْآنَ"، فأرسل "بجير" إليه خطاباً يُحذّره
فيه وينصحه، فلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابَ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ
وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، فَقَالُوا: هُوَ مَقْتُولٌ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ
مَنْ شَيْءٍ بَدَأَ؛ قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوْفَهُ
وإِزْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَتَزَلَّ عَلَى رَجُلٍ
كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ، - مِنْ جُهَيْنَةَ كَمَا ذَكَرَ لِي - فَعَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، فَقُمَّ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمَنَهُ، فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا
مُسْلِمًا، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ
ابْنِ قَتَادَةَ: أَنَّهُ وَتَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي وَعَدُوَّ

اللَّهُ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُهُ عَنْكَ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا، نَارِعًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، قَالَ فَغَضِبَ كَغَبِّ عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، لِمَا صَنَعَ بِهِ صَاحِبُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَقَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَيِّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ^(٢٩٨).

وكما نرى في الحديث الشريف السابق فعلى الرغم من أنه عادي النبي ﷺ لبعض الوقت إلا أن النبي قَبِلَ رجوعه عن غيئه وصفح وعفا عنه، بل وأهداه بردةً نبويةً شريفةً مباركة^(٢٩٩).

ج. أصحابه ﷺ

إعطاؤه نقودًا لسيدنا عمر ؓ:

عن عبد الله بن عُمَرَ ؓ قال: سمعتُ عمر يقول: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي فَقَالَ ﷺ: خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ فَنَفْسِكَ"^(٣٠٠).

والعطاء: منحُ الشيء بكرم وإحسانٍ وتسامحٍ، وهي كلمةٌ يندرج تحتها كلُّ أنواع الخير والمساعدة، كما تطلق على المال الذي يُعطى لمن يُجاهدون في سبيل الله.

وقد ذُكر في القرآن الكريم الأصناف التي تستحق الزكاة، ومن هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، والعطاء المذكور في الحديث هنا؛ هو نقودٌ خاصةٌ غير نصيب المجاهدين المذكور في القرآن الكريم، وقد كان النبي

(٢٩٨) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، ٣/٣٦٩.

(٢٩٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٣٦٩.

(٣٠٠) صحيح البخاري، الزكاة، ٥١.

ﷺ أحياناً ما يُعطي سيدنا عمر ﷺ عطاءً بصفته مجاهدًا في سبيل الله، مع العلم أنه كان يوجد في ذلك الوقت من هم أشدَّ احتياجًا من سيدنا عمر ﷺ إلا أن هناك سببًا خاصًا - كما يبدو - لاختيار سيدنا عمر ﷺ وإعطائه هذا المال.

وهذا الحديث يؤكد أنه يجوز منح عطاء خاص لمن يجتهدون كثيرًا، وينالون حب الجميع ويوزعون ما يأخذونه بالعدل، وينفقونه في سبيل الله، حتى وإن كان هناك من هم أشدَّ احتياجًا منهم، ولقد شرح هذا الحديث بوضوح أن "التهادي" هو تعبيرٌ عن أفضل حالات العلاقات الإنسانية، وأن الهدف الأساسي منه هو توطيد الصداقة والأخوة بين الناس وترسيخها، ويفضل الإنسان أن يُهادي من يحبهم ويرغب في مصادقتهم، ومن ثم فإن المهم هو شيوع التهادي بين الناس، وليس المهم هو قيمة الهدية، فعندما نتهادى علينا أن لا نُبالي بقيمة الهدية وثنمها لأنها شيء رمزي.

وإن الإنسان يقتني الهدية ويمنحها لمن يحبهم ويحترمهم ويُقدّرهم، وإذا قرنت مع الهدية نيةُ اتباع النبي ﷺ حازَ شرف و ثواب الاتباع، ولذلك فإن الهدية برمزيتها وليست بكثرتها أو قلتها، والمهم هو كسبُ وُدِّ الصديق وتطبيب خاطره بغض النظر عن الهدية ودون التَّشَوُّفِ إليها.

د. من يطلب الهدية بالحاج

إعطائه هدية للرجل الذي طلبها ثلاث مرّات متتالية:

كان النبي ﷺ عندما يطلب أحدٌ منه شيئًا يعطيه إياه إن كان متوقّرًا لديه، وإلا فكان يعدُّ بأن يعطيه، فلم يكن يخيّب أو يردّ سائلًا ولذا نراه يُهدي الرجل الذي طلب منه هديةً ثلاث مرّات فيعطيه هديةً في كلّ مرّة يطلب فيها، وقد يتطوّر الأمر من قبيل طلاب الهدايا فيطلب أحدهم من النبي ﷺ رداءه الوحيد الذي يرتديه؛ وإذ بالنبي ﷺ يخلع رداءه ويُقدّمه

لهم دون ترددٍ أو تباطؤٍ، أو قد يطلبُ أحدهم من النبي ما ليس بحوزته في ذلك الوقت، فعنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: ”جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ، وَلَكِنْ اسْتَقْرَضُ حَتَّى يَأْتِينَا شَيْءٌ فَنُعْطِيكَ فَقَالَ عُمَرُ: مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ هَذَا، أَعْطَيْتَ مَا عِنْدَكَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ فَلَا تُكَلِّفْ، قَالَ: فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْلَ عُمَرَ حَتَّى عُرِفَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ، فَأَعْطِ وَلَا تَحْشُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَاحًا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ“ (٣٠١).

٢- قبوله صلى الله عليه وسلم الهدية

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يردّها، ولذلك فقد كانت الهدايا تأتيه كثيرًا، كما أن من عادات ذلك العهد أن يتهادى الملوك ورؤساء القبائل، ومن ثمّ كانت تأتيه هدايا كثيرة من الدول المجاورة، وهذه الهدايا عبارة عن أشياء كثيرة تعود لذلك العهد من ألبسة وأدوات كنحو جبة أو طقم أو بردة أو خفّ أو خيمة أو عطور أو سيف أو جمل أو حصان أو بغل أو دنانير، فعنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ”لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيْتُ عَلَيْهِ لَأَجَبْتُ“ (٣٠٢)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية دون أن يبالي بقيمتها، وكان يستخدم الهدايا المرسلّة إليه، وربّما يرسلها لآخرين، أو يوزّعها على بعض المحتاجين من المسلمين.

هدايا الملوك

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ”أَنَّ كِسْرَى أَهْدَى لَهُ، فَقَبِلَ، وَأَنَّ الْمُلُوكَ أَهْدَوْا إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ“ (٣٠٣)، ويتبيّن من هذه الرواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبل هدايا ملوك الدول المجاورة، بصفته قائمًا على رأس الدولة

(٣٠١) مسند البزار، ١/٣٩٦.

(٣٠٢) سنن الترمذي، الأحكام، ١٠.

(٣٠٣) سنن الترمذي، السير، ٢٣.

الإسلامية، وإذا ما نظرنا للأمر من منظور تحسين العلاقات الثنائية بين الدولتين؛ فإننا نجد أن قبول النبي الهدايا - حتى من غير المسلمين - يخدم مصالح الدولة الإسلامية العليا في ذلك الوقت.

كما أننا إذا استقرنا الهدايا التي قَدِّمت إلى النبي ﷺ من ملوك ذلك العصر؛ فإننا نجدها على النحو التالي:

فقد أهده "هرقل" ملك الروم؛ لباساً ملوناً بالسندس الأحمر، وديناراً وكوباً مليئاً بالزنجبيل وجبّة حرير، وأهده "فَزَوْةُ بِنُ عَمْرٍو" عامل الروم في معن؛ حصاناً يسمّى "زريب" وبغلةً بيضاء تُسمّى "فضة"، أما "النجاشي" ملك الحبشة؛ فقد أهده خفّاً أسود وقدحاً زجاجياً وثلاثة رِمَاحٍ وخاتماً من ذهب، وأهده "المقوقس" حاكم مصر؛ لباساً حريراً والجارية "مارية" وأختها "سيرين" وبغلةً تُسمّى "ذُلْدُل" وحماراً يُسمّى "عُفير" وقدحاً زجاجياً وكحللاً ومرآةً ومشطاً، أما ملك "أيلة"؛ فقد أهده بغلاً أبيض، أما ملك "ذي يزن"؛ فقد أهده لباساً من حرير كان قد ابتاعه مقابل ثلاثة وثلاثين جمل.

وأما بالنسبة إلى كيفية تصرف النبي ﷺ بالهدايا الممنوحة إليه، فلقد ذكر "القاضي عياض" في كتابه "الشفاء" قائلاً: "فَانظُرْ سِيرَةَ نَبِينَا ﷺ وَخُلُقَهُ فِي الْمَالِ، تَجِدُهُ قَدْ أَوْتِيَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ، وَمَفَاتِيحَ الْبِلَادِ، وَأَحَلَّتْ لَهُ الْعَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلْ لِنَبِيِّ قَبْلَهُ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلَادُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَمَا دَانَى ذَلِكَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَجَلِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْمَاسِهَا وَجَزَيْتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَا لَا يُجِبِي لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْضُهُ، وَهَادَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَقَالِيمِ، فَمَا اسْتَأْثَرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَلَا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَمًا، بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ وَأَعْنَى بِهِ غَيْرَهُ، وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ"^(٣٠٤).

عدم قبوله الصدقة

كان الرسول ﷺ يفرق بين الصدقة والهدية، فيردّ الصدقة ويقبل الهدية ويروى أن النبي ﷺ كان إذا أتى بطعام سأل عنه فإن قيل هديّة أكل منها وإن قيل صدقة لم يأكل منها^(٣٠٥)، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ؓ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه أهديّة أم صدقة؟ فإن قيل صدقة قال لأصحابه: كلوا ولم يأكل وإن قيل هديّة ضرب بيده ﷺ فأكل معهم"^(٣٠٦).

وأخيراً: فإن التهادي أمرٌ نراه في كل عصر من عصور البشرية، والكل يحب أن يهدى ويهدي فقيراً كان أم غنياً، كبيراً كان أم صغيراً، وفي حياة النبي ﷺ أجمل نموذج للتهادي، ومن ثم يجب علينا أن نهادي أفراد عائلتنا وجيراننا المقربين وأقرباءنا وأصدقاءنا المحبوبين ومن نريد تطيب خاطرهم من الناس، ولا نتنظر عوضاً وبديلاً مقابل الهدية، كما يجب أن نقبل الهدايا المقدمة إلينا بغض النظر عن كبر أو صغر حجمها، وعلينا ألا نتنظر أي هديّة مقابل الخدمات التي نقدّمها، وكذلك لا يجوز لنا الرجوع في الهدية بعد تسليمها، ولا يجوز رفضها وإن كانت غير ضرورية.

والطريقة الأفضل في التهادي أن تكون الهدية غير باهظة الثمن، فالهدايا الثمينة قد توقع أخذها في حرج، فقد يكون الشخص الذي قبل الهدية لا يستطيع ردّها بالمثل، فمن يقدم الهدية أو يقبلها اتّباعاً للسنة لا يجب عليه أن ينظر لكثرة الهدايا وقتلتها أو ثمنها، أما إذا كان التهادي بغرض الرياء والتباهي والتفاخر؛ فعندئذ لن يتحقق الهدف المرجو منه، ذلك أن التهادي يجب أن يكون في حدود الإمكانيات وألا يزيد عن الميزانية، فالأصل في التهادي هو التذكير والتواصل لا التباهي والتفاخر.

(٣٠٥) صحيح مسلم، الزكاة، ١٧٦.

(٣٠٦) صحيح البخاري، الهبة، ٧.

ب. المبادئ التي وضعها النبي ﷺ في التهادي

١- حثه ﷺ على التهادي

قد حثَّ النبي ﷺ أمته على التهادي حتى تزداد المحبة والمودة فيما بينهم وتتوطد علاقاتهم، ولذلك كان يُهدي ويُهدى ويحثُّ على التهادي، ويبيِّن فائدة ذلك بقوله ﷺ ”تَهَادُوا تَحَابُّوا“^(٣٠٧)، وبقوله ﷺ: ”تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ“^(٣٠٨)، وهو هنا يُخبرنا أن التهادي يزيد المحبة ويوطد مشاعر الحب والصدقة بين الناس، ويُذهب الحقد والكراهية فيما بينهم، فعن عطاء بن عبد الله الخراساني رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ”تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغُلُّ، وَتَهَادُوا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ“^(٣٠٩).

٢- عدم اهتمامه ﷺ بحجم الهدية أو ثمنها

كان المصطفى ﷺ يقبل الهدايا، ولا ينظر لحجمها صغيراً كان أو كبيراً، وقال بخصوص قبول الهدية: ”...وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كِرَاعٌ لَقَبِلْتُ“^(٣١٠).

والحكمة من ذلك تتحقق في قوله ﷺ: ”... وَتَهَادُوا تَحَابُّوا...“، كما يبيِّن كيف أن الهدية تزيد المحبة بين الناس، وتقرب بينهم وإن كانت قليلة فقال: ”تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لَجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فَرَسِنِ شَاةٍ“^(٣١١)، والنبي ﷺ في مقدِّمة هذا الحديث يحثُّ على التهادي ويبيِّن أنه يُذهب الحقد والكراهية من القلوب، أما بقية الحديث فيناقش فيها التهادي بين الجيران، وأنه أفضل شيء يُبتدأ به الود بين

(٣٠٧) البخاري: الأدب المفرد، ٢٠٨/١.

(٣٠٨) سنن الترمذي، الولاء والهبة، ٦.

(٣٠٩) موطأ الإمام مالك، ١٣٣٤/٥.

(٣١٠) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٧١).

(٣١١) سنن الترمذي، الولاء والهبة، ٦.

الجيران، والمقصود هنا الجيران الذين يعيشون في نفس الحي أو العمارة أو المنزل، وهذه الأماكن التي تعجّ بالناس يحدث فيها مشاكل كثيرة لأسباب عدّة مثل الضوضاء وغيرها، والتهادي هو الحلّ الأمثل للتخلّص من كلّ أنواع المشاكل التي قد تحدث.

٣- عدم رفضه ﷺ الهدايا

لم يرفض الحبيب ﷺ هديّة قطّ، إلا في حالات استثنائية لكن إذا بلغ الأمر إلى المحرّمات فإن النبي ﷺ لا يُجامل أحدًا، بل يضع الدين فوق كلّ اعتبار، فعن عبد الله بن عباسٍ عن الصّعب بن جثامة رضي الله عنه: أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَحَشِيًّا وَهُوَ بِ"الأَبْوَاءِ" أَوْ بِ"وَدَّانَ" فَرَدَّ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: "أَمَا إِنَّا لَمَ نَزِدُّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ"^(٣١٢)، في الحديث السابق نرى أن "الصعب بن جثامة" قد حزن كثيرًا لرفض هديّته، فقد كان لا يعلم أن الصيد ممنوعٌ ومحرّمٌ مع الإحرام، ولما علم النبي ﷺ بأن "الصعب بن جثامة" قد يحزن ويظنّ أن هديته قد رُفِضت وصح له الأمر بأنه لو لم يكن مُحْرِمًا لَقَبِلَهَا.

ونتعلم من هذا الحديث أنه ينبغي لنا تفسير مواقفنا التي يُشكّل فهمها أو التي تُفهم على غير وجهها الصحيح، فلا نتركها دون تفسيرٍ أو توضيحٍ كيلا تتفاقم وتكبر، وإنما نُزِيلُ الإشكال بالتوضيح والتبيان.

٤- عدم استرداد الهدية

يُعتَبَرُ التهادي واحدًا من أهمّ أسباب ازدياد المودّة والمحبة بين الناس، وله أصوله وقواعده وضوابطه الخاصّة، وأهمها عدم التراجع عن الهدية أو طلب استردادها من جديد، فعن ابنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، يَزْفَعَانِ

الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي الْعَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ أَكَلَ حَتَّى إِذَا شَبِعَ قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ"^(٣١٣)، فالنهي هنا جاء بأشدّ الألفاظ القطعية التي تُقرَع وتُعْتَف فاعل ذلك.

٥- رفضه ﷺ هدايا غير المسلمين إلا في الظروف الاستثنائية

عادة لم يكن النبي ﷺ يقبل هدايا المشركين أو غير المسلمين عموماً إلا في الظروف الاستثنائية، بل إنّه نهى عن ذلك، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: "أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: أَسَلَمْتَ؟، فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي نُهَيْتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ"^(٣١٤)، ولقد سرد "الخطابي" حكمة عدم قبول النبي ﷺ هذه الهدية فقال: "وفي رده هديته وجهان أحدهما أن يغیظه برّد الهدية فيمتعض منه فيحمله ذلك على الاسلام، والآخر أن للهدية موضعاً من القلب، وقد روي "تهادوا تحابوا"، ولا يجوز عليه ﷺ أن يميل بقلبه إلى مشرك فردّ الهدية قطعاً لسبب الميل"^(٣١٥)، بيد أن الوضع مختلف بالنظر إلى المناسبات التي تكون بين الدول وبعضها البعض، فقد كان الرسول ﷺ يقبل الهدايا من الدول المجاورة حفاظاً على العلاقات الثنائية بين الدولتين، وهذا يندرج تحت الظروف الاستثنائية.

٦- تقديم الهدية دون انتظار مقابل لها

لا شك أن التهادي يقوّي العلاقات بين الناس ويزيد المودة والمحبة، إلا أنه من الواجب مراعاة المبادئ والأصول في ذلك، طبقاً لأخلاق الدين الإسلامي وآدابه، وبناءً على ذلك لا يجوز إعطاء هدية وانتظار مقابل لها

(٣١٣) سنن الترمذي، الولاء والهمة، ٧.

(٣١٤) سنن أبي داود، الخراج، ٣٣-٣٥؛ سنن الترمذي، السير، ٢١، ومعنى زيد المشركين: هداياهم.

(٣١٥) الخطابي: معالم السنن، ٤١/٣.

مثلها أو أكثر منها، ويستوقفنا هنا حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَكْرَةً فَعَوَّضَهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَتَسَخَّطَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ”إِنَّ فُلَانًا أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً فَعَوَّضْتُهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَظَلَّ سَاخِطًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ“^(٣١٦) وعلى الرغم من الأخطاء التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظها في سلوكيات الناس، إلا أنه كان يتعامل معهم بكل رفقٍ ولينٍ ومسامحةٍ، ونرى أمثلة ذلك كثيرة في حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بيد أن هذا السلوك الفظ الغليظ قد يحث الرسول أحياناً على عدم قبول الهدية رغم عظيم فضلها وأهميتها، ويُفهم من ذلك أن تقديم الهدية طمعاً في مقابلها هو سلوكٌ سيئٌ دنيءٌ يترفع عنه كرام الرجال.

٧- عدم قبول الهدية مقابل خدمة

لقد عَلَّمَنَا المصطفى صلى الله عليه وسلم متى نرفض الهدية ومتى نقبلها، ففي رواية عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ، فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَاقْبَلَهَا، فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ“^(٣١٧)، وعلى ذلك لا يجوز قبول الهدية مقابل خدمةٍ ما، فإن هذا يُزيل ثواب العمل، كما أنه يذهب الربح الحلال، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: ”عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابِ، وَالْقُرْآنِ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لِأَتَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَلَأَسْأَلَنَّهُ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا“^(٣١٨).

(٣١٦) سنن الترمذي، المنقب، ٧٣.

(٣١٧) سنن أبي داود، البيوع، ٨٢.

(٣١٨) سنن أبي داود، البيوع، ٣٦.

لم يكن أحدٌ في عهد النبي ﷺ يأخذ أجرًا مقابل تحفيظ القرآن، بيد أن بعض الآراء قد أجازت هذا الأمر في العصور التالية نظرًا للضرورة، ومعنى تعلیم الكتاب في الحديث أي تعليم الكتابة.

٨- إعطاؤه ﷺ الملابس التي كان لا يستخدمها على سبيل الهدية

إرساله ﷺ الضرو إلى جعفر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ مُسْتَقَّةً مِنْ سُنْدُسٍ، فَلَبَسَهَا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهَا تَذْبَذْبَانِ مِنْ طَوْلِهِمَا، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَالَ ﷺ: وَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مُنْدِيلًا مِنْ مُنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَلَبَسَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِتَلْبَسَهَا، قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ ﷺ: أَرْسِلْ بِهَا إِلَى أَحِيكَ النَّجَاشِيِّ" (٣١٩).

كان الرسول الكريم ﷺ إذا جاءته هدية ثمينة يهديها على الفور إلى الآخرين، إيمانًا منه أن مثل هذه الهدايا القيمة قد تثير الحزن والغيرة في قلوب الناس لذا كان النبي ﷺ يتخلص من مثل هذه الهدايا الباهظة بأن يهديها لغيره فور مجيئها لكي يرفع الحرج والحزن عن الآخرين.